**مواقف النحاة في القرن الرابع**

مبحث فى علم القراءات الشاذه

إعداد / أحمد محمد سمير

قسم الدعوة وأصول الدين

كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية

شاه علم - ماليزيا

[**Ahmedmsamir54@gmail.com**](mailto:Ahmedmsamir54@gmail.com)

**الخلاصة – هذا البحث يبحث فى مواقف النحاة في القرن الرابع**

**الكلمات المفتاحية – القرن، الرابع،النحاه**

* **.المقدمة**

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة مواقف النحاة في القرن الرابع**

* **.عنوان المقال**

**نقف في هذا القرن على مواقف عدد كبير من النحاة، وعلى جهود واضحة تميزت بالغنى والمباشرة؛ ذلك أن مصطلح الشذوذ قد أخذ يظهر في هذا القرن.**

**أما النحاة فهم: أبو جعفر الطبري، وأبو إسحاق الزجاج، وعلي بن سليمان الأخفش، وأبو بكر بن السراج، وأبو بكر بن مجاهد، وأبو بكر الأنباري، وأبو إسحاق الزجاجي، وأبو جعفر النحاس، وأبو سعيد السيرافي، والحسين بن خالويه، وأبو علي الفارسي، ومكي القيسي في كتابه (مشكل إعراب القرآن).**

**الإمام الطبري:**

**أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة عشر بعد المائة الثالثة، رفض أبو جعفر بشدة -كما رأينا- القراءة الشاذة، وهي كل قراءة خالفت الإجماع، أو اختل فيها ركن الرسم، أو صحة العربية، أو كانت حرفًا مأثورًا، ولكنه لم يستطع أن يدفعها دفعًا مطلقًا ينكرها فيه على أهله؛ لأنها كانت بالأمس قراءات لبعض الأئمة، فحاول توجيهها، وإيجاد المخارج لها قال: وإن ما شذ من القراءات عما جاءت به الأمة نقلًا ظاهرًا مستفيضًا، فرأيي للحق مخالف، وعن سبيل الله، وسبيل رسوله، وسبيل المسلمين متجانف، وإن كان له في الصواب مخرج، وقد تعددت هذه المخارج لدى الطبري، فكان منها التأويل، ومنها النظر في السند، ومنها الجانب النحوي، وعليه معولنا.**

**كان الطبري على براعته في فن القراءات نحوي يحذق مذهب الكوفيين، ويجلب في إنائهم، وينقل أقوالهم، ولا سيما أقوال الفراء، ويناقشه في بعضها، كما كان ينقل بعض آراء البصريين، وله في ذلك كله اعتداده بنفسه.**

**والقراءات الشاذة عند الإمام الطبري تقسم كما هي لدى الفراء إلى ثلاثة أقسام: الحروف المأثورة عن الصحابة، والقراءات الأحادية المخالفة للإجماع، والوجوه النحوية التي أجازها، ولم تبلغه قراءات.**

**فأول هذه الأقسام الحروف المخالفة: وينعتها الإمام الطبري -كما الفراء- بالحرف حينًا، ويقرنها بأحد المصاحف حينًا آخر، ويحددها حينًا بإحدى القراءتين، ويجعلها قراءة في أغلب الأحيان.**

**ويغلب على أبي جعفر الطبري توجيهه لهذه الحروف على مذاهب العربية توجيهًا بسيطًا لا كلفة فيه، من ذلك: توجيهه لحرف أبي: "وآتينا داود زبورا"، "ورسل قد قصصناهم عليك" برفع "رسل" على أنه مرفوع بعائد الذكر من قوله: "قصصنا عليك"، وهو رأي الفراء، ومذهب الكوفيين في رفع مثل: "رسل"، وما أكثر نقله عن الفراء في توجيه هذه الحروف.**

**وقد يستعين عليها بآيات القرآن، وهو يولي هذا الجانب عناية خاصة؛ لأن كتاب الله عنده نزل بأفصح ألسن العرب، وهذه أيضًا مقولة الفراء، ومن ذلك: تخريجه لقراءة ابن مسعود: "قد بدا البغضاء" بقوله تعالى: {ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ} [هود: 67]؛ لأن الصيحة كالبغضاء، فكلاهما مصدر مؤنث تأنيثًا لفظيًّا يجوز في فعله التذكير إذا تقدم، كما يستعين بالشعر، وهو جانب بارز أيضًا في منهجه، من ذلك: تخريجه لقراءة ابن مسعود: "وللظالمين أعد لهم عذابًا" على تكرار حرف الجر اللام بقول الشاعر:**

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| **فأصبحنا لا يسألنه عن بما به** | **\*** | **أصعد في غاوي الهوى أم تصوبا** |

**بتكرار حرف الجر الباء عن بما به، وقد يلجأ الإمام الطبري إلى بعض لغات العرب؛ للكشف عن وجوهها، على أن ذلك منقول في معظمه عن الفراء، فالطبري يعتد كثيرًا بهذه الحروف، ويوسع لها، وإذا كان الفراء قد جعلها دليلًا على الوجوه المشهورة، فإن الطبري يجعلها من أدل الدليل عليها، ولكن الفارق بين النحويين: أن الفراء لا ينص على خروجها من دائرة قرآن المسلمين، والطبري يفعل ذلك صراحة.**

**ثانيًا: القراءات الأحادية والمخالفة للإجماع:**

**غلب على الطبري في تخريجه لهذه القراءات الإيجاز في عرض الوجه النحوي، وإطلاق العبارات العامة أحيانًا، فضلًا عن تركه لكثير منها بلا تخريج، وربما يعود ذلك إلى انهماكه في غربلة القراءات، وتمييز الصحيح من الشاذ فيها، أو إلى سوء ظنه بالشواذ، وكأني به لا يرى فضلًا في بيان وجوهها ما دامت شاذة منكورة.**

**فالطبري يذكر كثيرًا من هذه القراءات من غير أن يذكر وجهها النحوي، من ذلك: قراءة أبي جعفر: "هيهات هيهات لما توعدون" بالبناء على الكسر، وقد يكتفي بالقول في بعضها، وذلك وجه صحيح في العربية، أو هي صحيحة في العربية فصيحة، أو وله وجه في العربية مفهوم من دون أن يبين مستوى هذه الفصاحة، أو نوع تلك الصحة، ولكن الغالب عليه يورد لها وجهًا نحويًّا بعبارة مقتضبة، كقوله في قراءة الحسن البصري: "وإذ قال إبراهيم لأبيه آزرُ" بالرفع على النداء، وقد استعان الإمام الطبري كما هو الأمر في الحروف في القرآن تارة، وبالشعر أخرى، وبكلام العرب، نذكر من ذلك: احتجاجه بقراءة ابن وثاب، والأعمش: "ولا يجرمنكم شنآن قوم إن يصدوكم" بلغة بعض قبائل العرب "أجرم، يجرم"، وغلب على الطبري الاقتصار على وجه نحوي واحد كالفراء في بيان وجوه هذه القراءات، وقلما تجاوزه إلى الوجهين، أو الثلاثة على نحو تخريجه لقراءة بعضها.**

**"شهرَ رمضان" بالنصب على المفعولية بفعل الصلة، وتقديره: وأن تصوموا شهر رمضان، وعلى المفعولية لفعل محذوف، وتقديره: شهر رمضان فصوموه، وعلى الظرفية، وتقديره: كتب عليكم الصيام في شهر رمضان.**

**ولم يكن أبو جعفر الطبري يسلم بوجوه هذه القراءات جميعًا، بل كان يقف من بعضها موقف المعارضة إذا لم توافقه، فقد لحن قراءة بعضهم: "ولكل وجهة هو موليها"؛ لأن الخبر عنده تام؛ ولأن الكلام لا معنى له، فلا يعقل أن يكون من كلام الله، كما لحن قراءة أبي جعفر: "ليجزى قوما"، وأنكر أن تكون على مذاهب كلام العرب، ووصف قراءة الحسن: "لا ترى إلا مساكنهم" بالقبح، كما وصف غيرها بالرداءة، والبعد عن الصحة، وحمل بعضها الآخر على ضرورة الشعر، ولعل هذا الموقف الرفضي منه طبيعي بالقياس إلى موقفه من كثير من القراءات المعروفة التي أسهم ضعف وجهها النحوي عنده في تشذيذها، وإخراجها من قرآن المسلمين.**

**ثالثًا: الوجوه النحوية الجائزة في الآيات:**

**نسج الطبري في هذا المذهب على منوال النحاة قبله ممن اشتغل بالقرآن، ولا سيما الفراء، ولكن هذا الجانب لم يكن كبيرا في كتابه (التفسير) إذا ما قيس بجهود الأخير، فأبو جعفر -كما أسلفنا- لم يكن نحويًّا خالصًا في كتابه، بل عالم قراءة يستعين بالنحو على إضاءة جوانبها، فقد كان النحو عنده جزءًا من التفسير، يساعده على شرح وجوه التنزيل، وقد اتبع الطبري في هذه الوجوه الطريقة ذاتها التي فسر بها القراءات من احتجاج، واستدلال، وكشف.**

**نذكر من ذلك: إجازته للنصب في قوله تعالى: {ﮟ ﮠ} [البقرة: 178]، قال: لو كان التنزيل جاء بالنصب كان صحيحًا على وجه الأمر، كما يقال: ضربًا ضربًا، والنصب قراءة ابن أبي عبلة. على أن هذه الجهود النحوية التي بذلها الطبري في تخريج الشواذ، وهذه الأشعار واللغات التي ساقها للكشف عنها لم تكن خالصة له، بل كانت في معظمها منقولة عن الفراء، فقد أغار أبو جعفر على كتاب (معاني القرآن) ينهل منه القراءات والوجوه والآراء؛ حتى يخيل إلى المرء أنه قد ينقل منه نقلًا، فالتعليقات النحوية، والوجوه المختلفة، والحروف المخالفة، والطعن على بعض القراءات، كل ذلك نجده في كتاب الفراء، ما خلا بعض الآراء النادرة التي صرح بأخذها عن أهل البصرة، من نحو قوله في قراءة "أطهر": وكان بعض نحوي البصرة يقولون: هذا لا يكون، وما عدا بعض الآراء الجديدة التي ناقش فيها الفراء، أو خالفه، من ذلك: أنه لم يقبل قراءة زيد بن ثابت: "فبذلك فلتفرحوا" التي أجازها الفراء؛ لأن دخول هذه اللام في رأيه لا يتكلم به.**

**ولم يكن الطبري يشير إلى هذا المصدر إلا في قليل من المواضع الثانوية كأن يقول: وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده متجاهلًا نقل آرائه النحوية برمتها، بل كان يطمس عبارات الفراء بالتقديم والتأخير، أو إهمال بعض الكلمات من غير أن يتخلى عن النحو، فقد قال الفراء في قراءة: "إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين" بجر "المتين" ذهب إلى الحبل: هو الشيء المفتول، فقال الطبري: ذهب بالقوة من قوى الحبل، والشيء المبرم: الفتل.**

**لقد خرج الطبري القراءات الشاذة، واتبع في ذلك منهج الفراء في طرق الاحتجاج والاستدلال، ولكنه لم يكن مثله يحسن الظن بها، بل تعصب عليها، ولعل هذا يعود إلى قناعته بخروج هذه القراءات عن القرآن، على حين كان الفراء بمعزل عن هذه المصطلحات والمقاييس، ولم يكن الطبري في جهوده نحويًّا كوفيًا بقدر ما كان رواية لآراء الكوفيين، يهمل ذكر مصادره، ولا ينسبها إلى أصحابها.**

**المراجع والمصادر**

1. **(المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)**

**أبو الفتح عثمان بن جني، بتحقيق علي النجدي ناصف وزميليه، القاهرة، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، 1994م**

1. **(مرشد الأعزة في بيان موقف العلماء من القراءات الشاذة)**

**عبد الكريم إبراهيم صالح، دار المحدثين, 2006م**

1. **)إعراب القراءات الشواذ)**

**أبو البقاء العكبري، بتحقيق محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب, 1996م**

1. **(الاختلاف بين القراءات)**

**أحمد البيلي، بيروت، دار الجبل، 1988م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي)**

**محمود أحمد الصغير، بيروت، دار الفكر المعاصر, 1999م**

1. **(كتاب المصاحف)**

**أبو بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، بيروت، دار الكتب العلمية, 1985م**

1. **(مختصر في شواذ القران من كتاب البديع أو القراءات الشاذة)**

**الحسين بن احمد ابن خالويه، دار الهجرة، 1934م**

1. **(القراءات القرآنية في بلاد الشام)**

**حسين عطوان، بيروت، دار الجيل, 1982م**

1. **(القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب)**

**عبد الفتاح القاضي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، 1975م**

1. **(اليزيدي القارئ النحوي دراسة نحوية قرآنية)**

**محمد أحمد علي سحلول ، دار الحسين الإسلامية, 1989م.**

1. **(شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، دراسة نحوية تحليلية)**

**محمد أحمد علي سحلول، دار الطباعة المحمدية, 1993م**

1. **(قراءة أبي السمال العدوي)**

**حمدي عبد الفتاح مصطفى خليل، الجريس، القاهرة, 2000م**

1. **(قراءة عبد الله بن مسعود مكانتها ومصادرها إحصاؤها)**

**محمد أحمد خاطر، دار الاعتصام, 1990م**